



د. علاء الدين لولح

البيئة المعمارية للمدينة العربية الاسلامية ودورها في الوقاية من الجريمة

كتب: منصور النهدي

تحدث الدكتور المهندس علاء الدين لولح وكيل كلية الهندسة بجامعة حلب عن «البيئة المعمارية للمدينة العربية الاسلامية ودورها في الوقاية من الجريمة» خلال المحاضرة التي القاها في مقر المركز العربي للدراسات الامنية والتدريب بالرياض ضمن الموسم الثقافي الرابع للمركز.

وقد استهل المحاضر حديثه بمقدمة اوضح فيها طبيعة المدينة العربية الاسلامية والتي استمدت طابعها الخاص والمميز من الاسلام موضحا ان البيئة الهيكلية للمدينة العربية الاسلامية كانت كاملة ومتكاملة وتعبّر عن جانب كبير من التنظيم، وقد تجلت مظاهر هذا التنظيم في اشكال المؤسسات المختلفة والتنظيمات الرسمية وغير الرسمية التي كانت سائدة

في المجتمع الحضري في مراحل التاريخ الاسلامي والتي ما وجدت تلك المؤسسات باشكالها المختلفة الأ لتنظيم الحياة الاجتماعية وضبط العلاقات العامة وتحديد ومراقبة سلوكية الأفراد والمجموعات وتنظيم قضايا الأمن والحماية ورعاية أمور الناس وحل مشاكلهم وخلافاتهم الخ. مستندة بذلك على أحكام الاسلام وتعاليمه. ثم استعرض التكوين الفيزيائي للبيئة

العربية الاسلامية

هذه التساؤلات اجاب عنها المحاضر في توضيحه للتركيبية العمرانية التي تميز بها الشكل المعماري للمسكن العربي والذي يجسد اعتبارات الدين والمجتمع بتكوينه المطلق من الخارج والمنفتح الى الداخل بشكل واسع.

وقد اعتبر الاسلام البيت حرمة لا يمكن خرقها وقد حدد بذلك العلاقة بين المسكن وبين الشارع وهذا ما يفسر اغلاقية الشكل الخارجي وانفتاح المسكن فقط على السماء

المدينة العربية الاسلامية وبموجبه ينتظم شكل المدينة على نحو يترجم اهمية هذا العامل، ويمكن للمرء استنتاجه واستخلاصه من الشكل العام للمدينة وعلى مقياس مكوناتها المختلفة العامة منها والخاصة بدءا من خليتها البنوية الاولى وهي المسكن. فقد جاء الشكل المعماري للمسكن نتيجة ومحصلة لتفاعل عوامل الدين والمجتمع والمناخ والامن وقاسما مشتركا لها جميعا.

فكيف كانت تلك المساكن؟ وما هي خصائصها؟ وما الجانب الأمني الذي تلعبه الهيئة العمرانية للمساكن في المدن

العمرانية للمدينة العربية الاسلامية وبيان مدى تأثير الحيز العمراني على السلوكية العامة للمجتمع الحضري وقال لقد جاء التكوين الغيظيائي للبيئة العمرانية والمعمارية للمدينة العربية الاسلامية محققاً ومستجيباً لكافة المتطلبات الضرورية للإنسان وقاسما مشتركا لعوامل الدين والمناخ والمجتمع والامن فاذا ما اخذنا بالدراسة والتحليل المخطط العام للمدينة العربية الاسلامية لتبين لنا بان عامل الامن بكل ما تعنيه كلمة الامن من معاني الاستقرار والحماية والخصوصية والطمانية هو عامل اساسي وهام في تكوين



جانب من الحضور

في فناءه الداخلي، كما يعكس هذا الشكل عامل المناخ وفي نفس الوقت تلبية لعامل الأمن والحماية واحتياطاً منها للوقاية من احتمالات الاعتداء أو السرقة.

ويؤكد في هذا الصدد أن عامل الأمن هو عامل مشترك في العمارة العربية الإسلامية حيثما كانت لا يقتصر فقط على البيوت ذات الفناء الداخلي بل يشمل أيضاً العمارة اليمينية المفتوحة على المحيط الخارجي والتي تخلو من فكرة الفناء حيث أن قاعدتها المتصلة مباشرة مع الشارع هي مغلقة وحصينة لتحقيق الأمن والأمان لسكانها. وهكذا تتشكل شوارع المدينة ودروبها وممراتها حيث تحيط بها جدران تكاد تخلو من الفتحات في مستوى الطابق الأرضي وتنتشر هذه الدروب انتشاراً عفويًا سلساً مُشكّلة شبكة تغطي كافة أرجاء المدينة وتمثل هذه الجدران سدا يصعب اختراقه، فهو احتياط آمن لحياة الداخل وحيز آمن لا يسمح ولا يسهل الاعتداء عليه أو السرقة أو استراق النظر نحو الداخل.

ويصل المحاضر إلى هذا الاستنتاج عن البيت العربي بقوله هو عبارة عن مكان مغلق ضمن محيط مغلق وهو حيز محمي ضمن إطار محمي وأمني ضمن بيئة آمنة، وهذا أمر انفردت المدينة العربية الإسلامية والعمارة العربية الإسلامية بتحقيقه دون غيرها من التجمعات الحضرية الأخرى في التاريخ.

وقد جاء التكوين العمراني للطرق والدروب والأزقة ملائماً ومسهلاً للأمن

والحماية في المدينة . فقد يجد الغربى التائه نفسه أمام دروب أو أزقة مغلقة تعيده إلى مساره الأصلي الذي يقوده بدوره إلى أبواب المدينة أو إلى فندق أو خان . ويتوه هنا بأن تشكيل المدينة العربية الإسلامية جاء مستنداً على مبدأ فصل العام عن الخاص بمعنى فصل المناطق ذات الاستخدام العام عن المناطق السكنية وذلك بهدف تحقيق الأمن والعزل للمسكن وحمايته من الضجيج والحفاظ على حرمة الخ . فمناطق الأسواق هي منطقة مغلقة على نفسها فتسمح للغربى بالتجول في أرجائها ولكنها لا تسهل له العبور إلى المناطق السكنية المجاورة وذلك بسبب التكوين الفراغي وتشكيل البنية العمرانية في كلا المنطقتين.

وأشار أيضاً امتداداً لنظم الإغلاق في تركيبة البناء العمراني للمدينة العربية الإسلامية إلى القيصرية والخان . كما يبرز عامل الأمن والحماية في المدينة العربية الإسلامية في شكل أبواب المدينة ذات المدخل المنحرف حيث تجري منه مراقبة البضائع ودفع الضرائب والرسوم مقابل الحفاظ على التاجر الغربى من أخطار المدينة.

وينتقل المحاضر بعد ذلك إلى توضيح الآثار الروحية للبيئة العمرانية للمدينة العربية الإسلامية في تحقيق الأمن والوقاية من الجريمة فأكد أن الطبيعة التخطيطية للمدينة العربية الإسلامية تعكس الدور الاقتصادي والاجتماعي وتفرض تأثيراً روحياً خاصاً في التعامل بين الناس، ففي وسطها يوجد السوق وفي قلب السوق يوجد

المسجد الجامع وهو رمز النظام يتحد بشكل متين مع النسيج العمراني للسوق وهذا التزاوج بين الدين والدنيا وبين التقوى والربح وبين الروح والمادة وهو ما نلاحظه في أسواق العديد من المدن العربية الإسلامية، كفاس وتونس وحلب . وعلى مقربة من الأسواق توجد الفنادق ومخازن البضائع ومسكن التجار وكان هذا هو قلب المدينة. أما حول هذه المنطقة فتأتي الأحياء السكنية.

• ويلعب موقع المسجد الجامع في قلب النسيج التنظيمي للسوق دوراً هاماً في توجيه سلوكية الناس في معاملاتهم وأعمالهم في منطقة السوق ويذكرهم بالرقابة الروحية المفروضة عليهم في تصريف أمورهم وتسيير شئون دنياهم وهو أمر بالغ الأهمية على صعيد السلوك الاجتماعي انفردت في مراعاته المدينة العربية الإسلامية دون غيرها كما كان شكل المدينة العربية الإسلامية في ذلك الوقت يعكس حالة المجتمع العربي الإسلامي المتعاقد المتعاضد والمتعاون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال المحاضر مواصلاً حديثه أن هذا ليؤكد على إنسانية المقياس العمراني في المدينة العربية الإسلامية ويبين أن كل عنصر من عناصرها إنما كان على قدر الإنسان مادياً وروحياً ومحصلة لاحتياجاته وعواطفه الأمر الذي أسهم في تأكيد الشخصية العمرانية المميزة للمدينة العربية وأضفى عليها الطابع الإنساني وذلك بتحقيق التفاعل بين الإنسان ومحيطه وتدعيم التعاطف والتعاون مع بيئته ومجتمعه.